الفصل التاسع

مناهج مدرسة المستقبل فى ضوء تحديات عصر العولمة(*)

- تمهيد
- المقصود بالعولمة وبتحديات عصر العولمة
- التعليم فى عصر العولمة.
- المقصود بمدرسة المستقبل.
- تصور لبعض أدوار مناهج مدرسة المستقبل فى ضوء تحديات عصر العولمة
- خاتمة .
- المراجع.

(*) مؤتمر المدرسة المصرية فى عصر تكنولوچيا المعلومات وتحديات العولمة (كلية التربية بدمياط: المؤتمر العلمى لقسم أصول التربية)، ٥ ــ ٦ نوفمبر ٢٠٠١.

تمهيد:

من المسلم به أن تجليات العولمة بعد أحداث يوم الثلاثاء الموافق الحادى عشر من شهر سبتمبر ٢٠٠١، ظهرت بصورة مخالفة تماما لنظيراتها، قبل ذلك التاريخ. ولعل أبرز شاهد يؤكد ذلك، اهتزاز صورة الولايات المتحدة الأمريكية أمام دول العالم، على أساس أنها فشلت فى حماية أمنها الداخلى، فكيف تزعم أنها قادرة على حماية أمن العالم، فى عصر العولمة.

وعلى الرغم من محاولة الولايات المتحدة الأمريكية بالاشتراك مع بعض حلفائها، حفظ ماء الوجه، عن طريق شن حرب طويلة المدى، ضد الإرهاب، فإن مستقبل هذه المحاولة يكتنفه الغموض، وبالتالى لا يمكن وضع النقط فوق الحروف بالنسبة للشكل الذى سيكون عليه العالم فى المستقبل القريب والبعيد على السواء.

فى ضوء ما تقدم، يظهر الدور المهم والخطير لمدرسة المستقبل، فهى إما أن تلعب دوراً إيجابياً لمقابلة التوترات والتناقضات والنزاعات التى يموج بها العالم حاليا، فى انتظار مستقبل مجهول، قد يكون مفزعاً فى شتى جوانبه، أو تفشل المدرسة فى تحقيق ذلك الدور، وهنا، تكون الطامة العظمى، حيث يختلط الحابل بالنابل، فلا يمكن وضع حدود فاصلة بين الصواب والخطأ، وما ينبغى وما لا ينبغى. بالنسبة للمظاهر والظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.. إلخ.

إن الضباب الذى يغلف صورة المستقبل القريب الآتى، يجعل أملنا ينحصر بالكامل فى كيفية الخروج من المتاهة والتوهان ــ اللذين قد تفرضهما الظروف العالمية علينا ــ عن طريق التعليم، وخاصة بعد أن أصبحت المدرسة جزء لا يتجزأ من حياة الأمة وطريقة معيشتها[١].

إن تحديد دور فاعل لمدرسة المستقبل فى ضوء تحديات عصر العولمة، يتطلب دراسة الموضوعات التالية:

* المقصود بالعولمة وبتحديات عصر العولمة

* التعليم فى عصر العولمة.

* المقصود بمدرسة المستقبل.

* تصور لبعض أدوار مناهج مدرسة المستقبل فى ضوء تحديات عصر العولمة.

وفيما يلى عرض تفصيلى للموضوعات الأربعة السابقة:

أولاً: المقصود بالعولمة وبتحديات عصر العولمة:

تكتنف لفظة العولمة الغموض، لذلك ظهرت عديد من الاجتهادات لتفسير المقصود بالعولمة، نذكر منها ما يلى:(٢)

جاء فى أحد المصادر التعريفات الثلاثة التالية:

* «تعود كلمة العولمة فى ترجمتها الحرفية إلى كلمة Mondialisstion الفرنسية، وكلمة Glabalization الانجليزية، والتى تعنى بالمعنى الاقتصادى جعل الشىء على مستوى عالمى، أى نقلة من المحدود المراقب إلى اللا محدود الذى ينأى عن كل مراقبة. والمحدود هنا هو أساساً الدولة القومية، التى تتميز بحدودها الجغرافية، والمراقبة الصارمة على مستوى التبادل التجارى والتعريفة الجمركية. أما اللا محدود، فالمقصود (العالم) أى الكرة الأرضية والفضاء الكونى». (عبدالله أبو راشد)

* «تبادل شامل إجمالى بين مختلف أطراف الكون يتحول العالم على أساسه إلى محطة تفاعلية للإنسانية بأكملها، وهى نموذج للقرية الصغيرة الكونية التى تربط ما بين الناس والأماكن ملغية المسافات، ومقدمة المعارف دون قيود، وهى ليست وليدة للرأسمالية أو السوق، إنها تقنات الاقتصاد والسياسة والاجتماع والثقافة، وتتجاوز النظم والأيديولوجيات، وتعد تشكيلة منوعة من الأنظمة والبنى تحدد ممثليها الدول الكبرى والشركات متعددة الجنسيات والمنظمات العالمية، وهى ليست أكثر من حركة جهنمية تنطلق بسرعة وتخطف فى طريقها الآمال والأحلام». (أوليفية دوافوس)

* «العولمة هى الإمبريالية فى مرحلة سقوط التعددية القطبية القائمة على التناقض على الأنماط الاقتصادية والاجتماعية وعصر المعلوماتية وما بعدها. أى فى عصر نواجه فيه تحولات جديدة فى أشكال الاستغلال والاغتراب الرأسماليين، وبروز السوق

الكونى بوصفه التجسيد العملى والشامل عالميا للعولمة (الكموسوقية)، التى تبتلع كل الانتماءات والهويات والقيم. ويراد لها أن تمر عبرها فى مواجهة آلية واحدة وحيدة تحدد نمط ما يجب أن يكون وما لا يكون». (الطيب تيزينى)

أيضا، جاء فى مصدر آخر، التعريف التالى:

* «نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد، والعولمة تعنى فى معناها اللغوى تعميم الشىء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله، وهى تعنى فى المجال السياسى منظوراً إليه من زاوية الجغرافيا (الجيوبوليتك) العمل على تعميم نمط حضارى يخص بلداً بعينه، هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات، على بلدان العالم أجمع».

(محمد عابد الجابرى)

كذلك، جاء فى مصدر ثالث، التعريف التالى.

* إن لفظة العولمة تجعل الذهن ينصرف إلى أحد معنيين:

الأول : جعل الشىء على مستوى عالمى، أى نقلة من حيز المحدود إلى آفاق اللامحدود، واللا محدود هنا يعنى العالم كله.

الثانى: تعميم الشىء وتوسيع دائرته أو بعبارة دقيقة تعميم نمط من الأنماط الفكرية والسياسية والاقتصادية التى تختص به جماعة معينة أو نطاق معين أو أمة معينة على الجميع، أو على العالم كله. (هالة مصطفى)

وجاء فى مصدر رابع، التعريف التالى:

* فما المقصود بالعولمة إلا «غربنة» العالم أجمع وجعلهم شعوباً ماسخة لا هوية لها ولا استقلال، فلا هى قد حافظت على أصالتها ودافعت عن قيمها الثقافية وهويتها الحضارية المستقلة وتمسكت بها، ولا هى بقادرة على أن تكون غربية كالغربيين!!.

(مصطفى النشار)

وتظهر التعريفات السابقة أننا أمام ثلاثة اتجاهات، هى:

(١) شرح مفهوم العولمة من الناحية اللغوية اللفظية.

(١) شرح مفهوم العولمة من الناحية اللغوية اللفظية.

(٢) قبول العولمة على أساس أنها السبيل للتقدم، ووسيلة التلاقى مع الآخرين.

(٣) رفض العولمة، لأنها تعمل على تشويه الثقافة والهوية القومية، كما تقوم على أساس هيمنة وسيطرة الدول المتقدمة على الدول النامية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يتم ربط العولمة بالأمركة، فما مصداقية الأمر الأخير؟!

والحقيقة، إن مفهوم العولمة مازال يكتنفه الغموض، بسبب حداثته، وتعدد العمليات التى تندرج تحت مظلته (اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية.. إلخ).. وعلى الرغم من ذلك، فهناك محاولات أخرى جادة لشرح أبعاد هذا المفهوم، بجانب المحاولات آنفة الذكر، نذكر منها ــ على سبيل المثال ــ ما يلى:

* تعنى العولمة فى معجم «ويبستر» إكساب الشىء طابع العالمية، وذلك يجعل امتداد الشىء أو العمل به يأخذ الصفة العالمية.

* يعرف (هورسمان ومارشال: ١٩٩١) العولمة بأنها «إندماج أسواق العالم فى حقول التجارة، والاستثمارات المباشرة، وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات والتقانة ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق، وخضوع العالم لقوى السوق العالمية تبعاً لذلك، مما يؤدى إلى اختراق الحدود القومية، وإلى الانحسار الكبير فى سيادة الدولة».

* يرى (الجابرى: ١٩٩٨) أن العولمة «نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد، والعولمة الآن نظام عالمى أو يراد لها أن تكون كذلك، يشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال... إلخ، كما يشمل أيضا مجال السياسة والفكر والأيديولوچيا».

* والمقصود بالعولمة من وجهة نظر (كوميليان: ١٩٩٧): «إن هذا النظام كشبكة للتبادل والقوة يشجع نشر ما نسميه (نموذجا تنمويا)، ويتكون هذا النموذج من عادات استهلاكية وأشكال أو صور الإنتاج، وطرائق الحياة، ومؤسسات ومعايير النجاح

وبعامة، مهما اختلفت وتباينت الآراء حول مفهوم العولمة، فعلينا أن نكون على وعى كامل بهذا الموضوع، لأن ما يطرح من أفكار حول «العولمة» يحتاج إلى المزيد والمزيد من الدراسة والفحص والمراجعة، وبذا يمكننا تحديد المواقع التى ينبغى الأخذ بها، لحاجتنا الماسة إليها، وكذا تحديد المواقع التى ينبغى تنحيتها جانبا، لتأثيرها السلبى وانعكاساتها الضارة علينا.

والسؤال:

ما علاقة العولمة بالتدفق المعلوماتى؟

إن التدفق المعلوماتى، وما صاحبه من تسارع التغييرات التكنولوچية، يفرض علينا بقوة أن نسعى بكامل طاقاتنا للحاق بالتقدم العلمى، والتطور التقنى. وبالطبع، لن يتحقق ذلك إذا انغلقنا أو تقوقعنا حول ذواتنا، بحجة أن العولمة قد تسهم فى تشويه هوية الإنسان الثقافية، وتضعف من انتمائه القومى.

والحقيقة، أن التحديث والنمو الاقتصادى اللذين يمكن حدوثهما، كنتيجة حتمية للعولمة، لا يمكن أن يحققا التغريب الثقافى، وإنما يعملان على تأكيد أهمية التمسك بالثقافة القومية، بجانب الانفتاح على الثقافات العالمية الأخرى.

إذاً، فالعولمة حقيقة قائمة، ينبغى أن نتعامل معها، إذا أردنا أن نتعامل مع ثورة الاتصالات، وتقدم صناعة المعلومات. فالتدفق المعلوماتى، قد يصل إلينا، دون احتكاك بمصادره الأصلية، عن طريق شبكات إنترنت، ولكن ذلك لن يحقق أبداً بناء قاعدة للبحوث والمعلومات.

إننا نعيش فى عصر التدفق المعلوماتى، أى عصر الثورة العلمية والتكنولوچية ــ حيث تعنى هذه الثورة أن الاستثمارات المكرسة لكسب المعرفة العلمية، لها مردودات فريدة ــ لذا ينبغى الاستفادة من انجازات هذا العصر، من خلال التعامل المباشر مع مصادر وأصول ينابيع المعرفة العلمية.

لقد تغير العالم، «وصاحب هذا التغير نهايات واقعية، كنهاية الأفكار الخيالية

(الطوباوية)، التى لا تتعامل مع الواقع المعاش أو المـمكن، ونهاية الشمولية السياسية والاقتصادية، التى تحجر على حركة الأفراد والجماعات، ونهاية الحواجز المصطنعة أمام مشاركة البشر فى صنع التنمية وإحلال السلام، هذه النهايات تنتهى ببداية جديدة (لكوكبية إنسانية) تحتفى بالتعددية الثقافية والاحترام المتبادل، أو هكذا يجب أن تكون. وتعطينا الفرصة الذهبية (لإعادة هندسة) الحالة البشرية، بالتوظيف الإيجابى للمنجزات المستمرة للعلم والتكنولوچيا، بل والفن والأدب وكل العلوم الإنسانية والاجتماعية».

وجدير بالذكر أن العولمة كعملية تاريخية تشكل «تاريخ المستقبل»، لم تظهر فجأة ودون سابق إنذار. فالتطلع للمستقبل فى كل عصر من العصور السابقة، كان يمثل آنذاك هدفاً محدداً لمن عاش أو تعايش مع تلك العصور. إن التطلع للمستقبل، كان ومايزال السبب المباشر لمحاولة تحقيق التواصل المباشر والتكاتف المقصود من أجل انجاز آمال وأمانى الإنسان فى كل مكان.

وعليه فإن «فكرة العولمة ليست جديدة تماما، ولكن سبقتها كثير من الأفكار والنظريات التى تتشابه معها وتماثلها تماماً إلى حد كبير، وإن كانت كل منها لا تعبر إلا عن بُعد واحد من أبعاد العولمة، التى يتسع نطاق مفهومها ليشملها جميعا.

ومن بين هذه الأفكار، نظرية التحديث، وما أدى إليه التصنيع من ظهور أنواع جديدة من العلاقات والروابط بين المجتمعات الصناعية، كما يلاحظ وجود تشابه واضح وملحوظ بين صورة العالم كما يرسمها مفهوم العولمة وفكرة الكاتب (مارشال ماكلوهان) عن القرية الكونية (١٩٩٤) من ناحية، وفكرة (المجتمع العالمى) الذى يتميز بظهور طراز جديد من التفاعلات والصفقات التى تحدث بصورة متزايدة بين الهيئات والمنظمات عبر القومية من ناحية أخرى، كذلك فقد لوحظ أن نظرية العولمة تشترك فى كثير من مقوماتها مع حجة (فرانسيس فوكوياما) عن (نهاية التاريخ: ١٩٩٢)، والتى مؤداتها أن قوة السوق الاقتصادية ترتبط بالديمقراطية

الليبرالية، التى سوف تحل محل كل الأنواع الأخرى من النظم السياسية المناهضة للديمقراطية، سواء فى ذلك الفاشية أم الشيوعية، التى لا يمكن لأى منهما أن تحرر السلع الاقتصادية كما تفعل الديمقراطية الليبرالية».

خلاصة القول، فإن الهجرات الواسعة وثورة العلم والتكنولوچيا وتشابك وتعقد العلاقات وهموم البيئة.. إلخ، كانت وراء ظهور مفهوم العولمة، الذى يتطلب «أن نمتلك ونستوعب آليات المشاركة والتوجيه فكراً وعلماً وعملاً، وقدرة على إحداث التغيير المطلوب فى أدائنا وإدارة مستقبلنا».

وفى عصر العولمة، ينبغى أن يواجه العقل الإنسانى إعصار معلومات الإنترنت، باستخدام الأدوات العلمية والعملية لمعالجة المعلومات، التى تتدفق بفيض غزير وكثافة كبيرة، والتى تتناول الجوانب: الثقافية والتربوية والنفسية والإعلامية والتكنولوچية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية... إلخ.

ومما يؤكد الحديث السابق، أن «مفهوم العولمة يبلغ من الانتشار مبلغاً يجعله يغطى أشد أنواع النظريات والمصالح الاجتماعية تبايناً. فهو يغطى الطيف السياسى من اليمين إلى اليسار، وهو مقبول فى شتى العلوم ـــ الاقتصاد، الاجتماع، الدراسة الثقافية والسياسات الدولية ـ وهو مطروح أيضا على لسان المجددين والتقليديين فى الحقل النظرى. إن الأدب المكتوب عن العولمة غزير ومتنوع»[٣].

وبعد أن تطرقنا للمقصود بالعولمة، يكون من المهم طرح **السؤال** التالى:

ما المقصود بتحديات عصر العولمة؟

بادىء ذى بدء، يجدر الإشارة إلى أن القرن العشرين، بخاصة فى نصفه الأخير، قد شهد العديد من المتغيرات والتغيرات، التى أثرت فى الكثير من الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية، سواء أكان ذلك على مستوى المجتمع الواحد، أم على مستوى العالم ككل. ولقد كانت تلك المتغيرات والتغيرات، بعضها يتسم بالسلبية القحة، مثل: الانفجار السكانى الهائل، وخاصة فى الدول النامية، وتراجع الموار د الطبيعية بشكل مخيف فى الدول الفقيرة.. إلخ. أما المتغيرات والتغيرات الإيجابية،

فكانت فى مجملها، من نصيب دول الشمال الغنية، التى أكدت هيمنتها وسيطرتها على دول الجنوب، فى ظل النظام العالمى الجديد. حقيقة، واجهت بعض دول الشمال بعض التحديات، مثل: ثورة الزنوج فى أمريكا، وثورة النساء للمطالبة بالمساواة فى الحقوق والواجبات مع الرجل،.. إلخ، إلا أن هذه الدول تستطيع بسهولة أن تتجاوز أزماتها، بسبب ما تملكه من كوادر بشرية قوية العقول، أو ما تحتفظ به من موارد مادية ضخمة.

فى ضوء ما تقدم، يكون من المهم ـــ لمقابلة التناقض فى الأوضاع الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية والسياسية والعلمية والتكنولوجية والمهنية.. إلخ، بين دول الشمال ودول الجنوب ـــ قيام نسق عالمى من القيم الجديدة، تتوحد تحت مظلته المظاهر السلوكية، بما يحقق الفائدة والنفع للإنسان، فى كل زمان ومكان، وخاصة أن «أهم ما سوف يميز القرن الواحد والعشرين هو زيادة الانفتاح الثقافى والاجتماعى بالمعنى الواسع للكلمة الذى يشمل السياسة والاقتصاد وأساليب الفكر، بحيث تتصل كل مجتمعات العالم بعضها بعضاً بما يحقق التبادل الثقافى على أوسع نطاق نتيجة وسائل الإعلام والاتصال المتطورة، وسوف يساعد هذا الانفتاح والاتصال على معرفة الثقافات المختلفة والمتباينة فى العالم، وإدارك كنهها ومعرفة رموزها ومعانى هذه الرموز مما يؤدى إلى احترام ثقافة الآخرين، والنظر إلى كل ثقافة منها على أنها منظومة واحدة تتفق فى مبادئها العامة مع المنظومات الثقافية الأخرى»(٤).

وعندما نتحدث عن تفصيلات المقصود بتحديات عصر العولمة، نقول:

عندما نتحدث فى موضوع **تحديات العصر**، نقول إن خطورة هذا الموضوع تتولد من أن جذوره قد تنبثق من الماضى السحيق والقريب على السواء، فالأشتات والتفصيلات التى يعيش الناس فى ظلها ساعة بعد ساعة، وفى غمرة موجها يوماً بعد يوم، ليست وليدة ظروفها الحالية المفاجئة. وإنما جاءت وفرضت نفسها لتمثل الحياة المعاصرة التى ينبغى أن يتوافق الناس معها. إن إيمان الناس أن يعيشوا ظروفهم الحياتية المتاحة، وأن يتطلعوا فى ذات الوقت إلى المستقبل، ليس أمراً سهلاً على طول الخط، وبخاصة أن الناس فى إلتفافهم للماضى لإستلهامه فى تقدير مواضع صحيحة

لأقدامهم، ربما يتمسكون بهذا الماضى تحت شعار التواصل بينهم وبين أسلافهم، فيقاومون فكرة التطور وما يتبعها من إيمان بضرورة التغير. وعلى الرغم من التحفظ السابق، فإننا نقول بدرجة كبيرة من الثقة أن فكرة التطور وما يتبعها من نتائج فى حياة الإنسان، النظرية والعملية على السواء، هى الفكرة السائدة الآن، والتى يؤمن بها السواد الأعظم من شعوب الكرة الأرضية. إن فكرة التطور جاءت لتسود بالكامل عصرنا، لذا فهى أعمق الجذور فى وجهة النظر المعاصرة، كما أن لها سيادة تتحكم بها فى تشكيل الرؤية بالنسبة للموضوعات المطروحة للبحث والنظر. أيضا، فإن فكرة التطور هى التى ألقت الضوء على أنه لا يوجد شىء له صفة الثبات، فالكون نفسه مأخوذا بجملته ليس ثابتاً على صورة واحدة، والإنسان نفسه فى وضعه الحالى ليس كما كان فى الماضى، ولن يكون على نفس حاله فى غده البعيد. إن التغير أمراً محتوماً، لذا فإن الوجود عندما يتطور بكل موجوداته، يتبعه تغير فى صورة الحياة، وتتغير معه مسالكنا وسلوكياتنا إزاء هذه الحياة، وتتباين ردود أفعالنا لمثيراتها.

إن رؤية عصرنا تستوجب أن يكون اتجاه سيرنا نحو المستقبل. وذلك لأن الماضى قد فات زمانه ومضى بظروفه وأحداثه ورجاله، وأقصى ما يستطيع أن يقدمه لنا هو مساعدتنا على فهم حاضرنا كيف جاء، وعلى إدراك الأبعاد التى قد يكون عليها مستقبلنا، فلم يعد من الممكن أن يكون المستقبل هو امتداد الماضى، لسبب بسيط، هو أن الحاضر يفصل بينهما.

إذن، علينا أن نفهم بوعى أن التغير هو الحقيقة الباقية، ولا توجد حقيقة سواها. وإذا نظرنا من حولنا لأدركنا ذلك بسهولة، إذ أننا نلاحظ «سرعة محمومة فى تغير الأوضاع بكل صنوفها: علم يتغير كل يوم، لا ينسخ ماضيه بل بالإضافة إليه. نظم سياسية تزول ونظم سياسية تقوم قوائمها. ثورات لا تنقطع أسبابها، بعضها رأسى يبدأ فى إقليمه وينتهى فى إقليمه، وبعضها أفقى يمتد ما امتدت أقطار الدنيا، فيشمل فئات من البشر تتشابه ظروفها وإن تباعدت أوطانها، كالعمال والشباب والمرأة، وهكذا. إن كل شعوب الأرض فى يومنا يأخذها قلق على المصير، سواء أكانت الشعوب ممن تقدم أم كانت ممن تخلف، فمن تقدم تقلقه سرعة التقدم حتى ليفزع على سلامة

مصيره، ومن تخلف يقلقه بطء خطواته نحو أن يلحق بالركب. فالمستقبل هو ملتقى أنظار الجميع، ثم يأتى فى هذا الإطار حنين الإنسان إلى ماضيه».

وتنعكس من جميع أنحاء العالم الدلائل، التى تشير إلى الثقة المتزايدة فى قوة التربية كمصدر للبيئة، وكدليل يسترشد به الأطفال ليتعلموا كيف يسهمون فى عالم اليوم، وعالم الغد. وتقع مسئولية الرد على هذا التحدى على عاتق المدرسة حتى تصبح التربية بالفعل قوة إيجابية اجتماعية. وبالطبع، لن يتحقق ما تقدم، ما لم يقوم المدرسون، والمسئولون عن قيادة العملية التربوية بفحص وتقييم الآراء والمقترحات التى تؤدى إلى معالجة مشكلات المنهج الأساسية، وما لم يفكروا بجدية ووعى فى بناء منهج جديد يواكب روح العصر.

خلاصة القول: أنه فى ظل الأدوار الوظيفية للمنهج على أساس أنه وسيلة التربية لتحقيق أهدافها من جهة، وفى ظل ظروف عصرنا الذى يستطيع أن يتحدانا، مستظلاً بمظلة العلوم وتقنياتها، وما يتبع ذلك من قوة الصناعة وقوة السلاح وثراء المال وارتفاع مستوى العيش وتشابك العلاقات بين الأفراد والدول، إلخ، من جهة أخرى، ينبغى بناء المنهج التربوى بما يعطيه إمكانية وفاعلية مقابلة تحديات العصر.

ثانيا: التعليم فى عصر العولمة(٦):

يعرف (الفين توفلر) الصدمة الثقافية، «أنها ذات نوعين وباتجاهين بالذهاب إليها أو قدومها إلينا: فى الانتقال إلى محيط ثقافى مغاير يصدم كل القيم المتعارف عليها، والثانية هى البقاء فى المحيط نفسه مع انغماره بتغيرات متسارعة تصدم كل ما اعتاده العقل.

الأولى فى القفز إلى مكان آخر بتغيير الجغرافيا بما فيها جغرافية العقل، والثانية اهتزاز الأرض الثقافية تحت الأقدام. المحصلة فى الحالتين، إما بالانتقال إلى جو إعصارها، أو انتقال الإعصار إلى أرضنا باهتزاز الأفكار الأساسية التى تمرن الفرد عليها فى شكل عادات عقلية ثابتة، فيصاب الإنسان بالدوار وبانعدام التوازن. ما يفعله العلم اليوم من تحطيم المسلمات وطحن التقليد، يصب فى النهاية فى خانة

التجديد مع خسائر متوقعة يحزن عليها الجيل القديم ويفرح بها آخرون. ومع كل تحطيم لبنى الفكر القديمة، يتم القفز إلى حقل معرفى جديد، فينشط التقدم درجة، فى جدلية لا تعرف التوقف، وهو سرعة حركة المجتمع ونموه المتتابع».

ومن منتصف القرن العشرين وحتى بدايات القرن الحادى والعشرين، مازلنا نعيش الصدمة التى أشار إليها (توفلر). لم نتحرك قدماً واحداً للأمام، وظللنا فى أماكننا، نتأمل فى دهشة واستغراب منجزات الحداثة وما بعدها. إن صدمة التغيير الثقافى، وما صاحبها من تغييرات فى شتى مجريات الحياة البشرية، جعلنا نشاهد ما يحدث حولنا بشك وحذر وريبة ، ولا نستطيع أخذ رأى قاطع ومحدد، بالنسبة لقبول أو رفض فكرة: إعادة إنتاج طرائق فهمنا للراهن الملموس، ومحاولة كشف أستار القادم المجهول، حتى يمكن التعامل معه بآليات ذكية، تساعد فى الوقوف على أدق أسراره.

وإذا كان القرن العشرين قد أثمر العديد من الانجازات العلمية والتقنية، مثل: السينما والتليفزيون والنظرية النسبية ونظرية الكم، واكتشاف الذرة، والطائرة الصواريخ عابرة القارات وسفن الفضاء والآقمار الصناعية، والهندسة الوراثية والاستنساخ، والكمبيوتر والمعلوماتية والإنترنت، والسوق الكونية،... إلخ، فمن المتوقع أن تشهد بدايات القرن الحادى والعشرين، أسرع وأعمق تحول فى تاريخ البشرية، يمكن أن يثمر حصاداً علمياً وتكنولوجياً يفوق كل ما سبق أن أنجزته البشرية فى كل ما مضى من قرون، وذلك سوف يمثل لنا صدمة عظيمة، وإشكالية كبرى. فالسرعة «التى يقتحمنا بها عصر (ما بعد الحداثة) وتعولم الأسواق والثقافات والمعلومات لا تتيح الوقت الكافى ــ مع بطء إيقاع إحساسنا بضرورات التغيير ــ لتطوير رؤانا وممارساتنا، ومن ثم، فمازلنا نحاول أن نواكب أوضاع بدايات القرن الجديد بفكر وممارسات تجاربنا فى التحديث والتنمية فى خمسينيات وستينيات القرن العشرين».

إن جوهر المشكلة بالنسبة لنا فى عصر العولمة، إننا لا نستوعب الدرس جيداً، وإذا استوعبناه يكون القطار فاتنا، ويعود ذلك إلى ترددنا المريض فى قبول الجديد، بحجة

أن المعلوم هو المضمون. أما الحديث، فمجهول الملامح ولا نعرف إلى أين يقودنا. ناهيك عن التيار الأصولى، الذى لا يتمسك بالتراث فقط، بل يقاوم بشدة جميع التيارات الثقافية المتقدمة والتقدمية ، بحجة المحافظة على الهوية.

إذا كان الوضع السابق أمكن قبوله فى بدايات القرن العشرين، فإنه مرفوض تماما فى بدايات القرن الحادى والعشرين. فالعولمة حقيقة قائمة ، أردنا أو أبينا. لذا، يكون الخيار الوحيد أمامنا، هو التكيف مع واقع العولمة وقبول تحدياتها، بعقل ديناميكى منفتح، قادر على التفاعل مع الآخر بذكاء، دون عقد أو خوف ورهبة.

إن الإبداعات التقنية والعلمية، والقيم الثقافية والاجتماعية المعاصرة، هى التى رسمت المشهد الحضارى للعولمة، التى يجب أن نعيش فيها وأن نتعايش معها بحنكة وفاعلية، حتى لا نترك الميدان خالياً لمجموعة من الدول دون غيرها، تنفرد وتنعم بانجازات عصر العولمة. وعلينا أن نفعل ذلك، دون انزعاج من مردودات إفرازات العولمة وقيمها، على هويتنا الثقافية القومية، إذ أن ما يهدد هويتنا بالفعل لا يعود إلى عمليات العولمة وتداعياتها الثقافية والسياسية والاجتماعية، بقدر ما يرجع إلى الأزمة الحقيقية التى تعانى منها هويتنا الحقيقة، تعانى هويتنا فى وقتنا الحاضر من الضعف والعجز عن «إعادة إبداعها لذاتها فى سياق حركة اجتماعية عنوانها وأفقها المحرك هو التنمية الشاملة وتوسيع إطار الديمقراطية، وتعزيز مؤسسات المجتمع المدنى وتفعيل قيم الحوار والتعددية، وقبول الرأى والرأى الآخر، وفى القلب من تلك الحركة الاجتماعية توفير حرية التفكير والبحث العلمى، وإنشاء نظام تعليمى مختلف كلياً عن النظم القائمة حالياً فى مجتمعاتنا العربية، مختلف فى مادته وفلسفته، ويقوم فى الأساس على تأهيل وإعداد كوادر تعليم عالية المهارات، واحترام عقل المتلقى، وتوفير وسائل تمكينه من الاستيعاب الناقد للمعلومات والآراء وإبداع الأفكار، واختصار الزمن فى مناهجنا التعليمية، وإطلاق العنان للطاقات الشابة فى كل المجالات لكى تفكر وتبدع وتعزز ثقتها بإمكاناتها».

وإذا كان الحديث السابق قد أبرز أهمية وضرورة إطلاق العنان للطاقات الشابة، فإنه يكون من المهم أن يكون للتعليم دوره الملموس والمباشر والجاد فى عصر العولمة، وذلك ما يتحقق فى الحديث التالى.

من المسلم به أن التربية هى التى تشكل المجتمع، لذا فإن المجتمعات النامية تحاول أن تلحق بركب الحضارة والتقدم والرقى، عن طريق التربية، على أساس أن التربية هى الوسيلة الأساسية القادرة على تحطيم وتجاوز نمط التخلف السائد فى المجتمع، وعلى أساس إمكانية التربية إعادة تشكيل المجتمع على هيئة نمط الحياة المعاصر.

وإذا أردنا أن نتحدث بشىء من التفسير والتوضيح عن نمط الحياة المعاصر، نقول: إن نمط الحياة/ أو العيش هو شكل الناس الحياتى الذى يتشكل عبر الظروف التاريخية وفق بنى اقتصادية واجتماعية وثقافية تعبر عن النظام الاجتماعى بمعناه الواسع والشامل لهذا المجتمع أو ذاك. وهذا النظام، يغطى مجمل ظروف الناس، ويشكل نشاطهم، ويرسم صيغ تفاعلهم الحيوى، كحصيلة للتفاعل بين ظروف الحياة العيانية، وبين فعالية الفرد المنظم اجتماعيا. ومن هنا، فإن نمط الحياة المعاصر، هو إنعكاس مباشر للظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتجارية والصناعية.. إلخ، وهو يشكل البنية الداخلية لنمط حياة الفرد من إنحيازات ثقافية وفكرية، وعلاقات اجتماعية. وبالطبع، نمط الحياة المعاصرة، يتطلب دينامية الفرد وتفاعله، كذا القيم والمعتقدات المشتركة والمعايير والتفسيرات العقلية والرموز والأيديولوچيات، وكل منتج عقلى، بجانب المسلمات المعرفية الجمعية التى تقع فى أعمق أعماق الفرد (اللاشعور). لذا، يقوم نمط الحياة المعاصر فى الدول الديمقراطية، على أساس الند للند فى العلاقات الشخصية بين الأفراد بعضهم البعض، وعلى أساس الحرية الكاملة فى التعبير دون قهر للطبيعة الإنسانية. أيضاً، فإن نمط الحياة المعاصر فى الدول المتقدمة، يقوم على أساس حق الفرد فى مناقشة السلطة فى جميع القرارات التى تقرها، ويرفض سن الإجراءات الاستثنائية بحجة المحافظة على النظام، من منظور شامل يحدد حقوق وواجبات الفرد تحديداً تاماً، وبذا ينتفى القهر الذى قد تمارسه السلطة، كما تختفى الفوضوية والغوغائية التى قد يقوم بها الفرد.

فى ضوء ما تقدم، يكون لنمط الحياة المعاصر، آلياته التى تسهم فى عملية التطبيع والإندماج، ضمن النسيج الحر من خلال علاقة تبادلية التأثير بين الفرد والمجتمع، بحيث يكون للفرد دوره الفاعل فى التوجه إلى المجتمع، على نفس درجة توجه المجتمع إلى الفرد.

والسؤال:

ما دور التربية فى تحقيق نمط الحياة المعاصر فى عصر العولمة؟

من منطلق دور التربية فى المحافظة على المنجزات والمكتسبات التى حققها المجتمع فى جميع المجالات والميادين، مع الأخذ بعين الاعتبار الدور المهم الذى يقوم به الفرد فى تحقيق هذه المنجزات والمكتسبات، بما يعود على المجتمع وعليه بالنفع والفائدة. بمعنى؛ أن غاية التربية فى الدول المتقدمة، هى المحافظة على المستوى الحضارى، الذى يتم تحقيقه.

إذاً، إذا أرادت الدول النامية تحقيق نمط الحياة المعاصر فى عصر العولمة، يجب أن يكون هدف التربية فيها، هو تفكيك وتحطيم بنية نمط التخلف السائد فيها، بهدف الانطلاق إلى العالم الأوسع والأشمل، للاستفادة من مردودات ومنجزات عصر العولمة، دون أن يكون ذلك على حساب القيم والمثل الأعلى.

وعلى الرغم من أن التربية التقليدية التلقينية قد تحافظ على وضعية المجتمع، فإنها بالتأكيد تقف عائقا أمام انطلاق المجتمع نحو مزيد من التطور وتحقيق الإنجازات، والمكتسبات، فى عصر العولمة. لذا، فى ظل متطلبات وتحديات عصر العولمة، لن تستطيع التربية أن تقود المجتمع نحو الأفضل، بل قد يحدث العكس تماماً، كما يقول «باولو فرير» فى كتابه (تعليم المقهورين)، «إن المجتمع هو الذى يشكل التربية».

إذاً، تفشل التربية التقليدية فى أن يكون لها دور يذكر فى تحقيق نمط الحياة المعاصر فى عصر العولمة، وبذا يكون خيار التربية **النقدية** هو الخيار الطبيعى البديل للتربية التقليدية، على أساس أنها تعمل على إكساب الفرد القدرة على الحكم على الأفكار والتصورات لتمحيصها وتحليلها، لمعرفة مدى توافقها عقلياً قبل إقرارها واعتمادها، وخاصة أن التربية النقدية «تنظر إلى الفرد على أنه مجموعة عمليات نفسية وعقلية. والفرد السوى هو الفرد الذى يتاح لكل عملياته النفسية والعقلية التنامى بشكل متوازن، والقيام بالعمليات على أكمل وجه».

وعلى الرغم من أن التربية النقدية تتطلب أن يستعمل المتعلم كافة العمليات

النفسية والعقلية، فإنها تركز على عمليتى الإدراك والانتباه. هذا من جهة المتعلم، أما من جهة المعلم، فإن الأمر يقتصر فقط على إعداد المعلمين ذوى الكفاءات النقدية التحليلية، إعداداً جيداً. وبذا، يكون المنهج فى ظل التربية النقدية ، مجرد وسيط مساعد، يسهم فى تحقيق التواصل الفعال للعقول المبدعة، ولا يكون هو الأساس الذى تتمركز من حوله ، عملية تعليم وتعلم الطالب، أو عملية تقويم الطالب نفسه.

والحقيقة، يسهم المنهج التربوى فى ظل التربية النقدية، فى تحقيق تربية **الإبداع**، إذ يهتم المنهج باستجابات الإنسان وأساليب تعامله مع المشكلات التى يواجهها، وبطريقة إدارته للأزمات، وأخذ القرارات المناسبة لحل هذه الأزمات بطرق ابتكارية وأصيلة، على المستوى العام أو الخاص، وعلى المستوى النظرى أو العملى، وبذا يسهم المنهج فى تعليم الإبداع كظاهرة متعددة الوجوه، أكثر من اعتباره مفهوما نظريا بحتاً، له تعريف محدد.

وجدير بالذكر، أن هناك من يضع حدوداً فاصلة بين التربية النقدية وتربية الإبداع، بحيث يكون لكل منهما هويته الخاصة به، والمستقلة عن الأخرى. إن هذا الفصل، ليس له أى سند عقلانى أو أساس علمى، فالعقلية القادرة على التحليل والنقد، لا تقف عند حدود التحليل والنقد فقط، كما أن عمليتى التحليل والنقد ــ أو قل عملية التحليل والنقد معاً ــ فى ذاتها عملية إبداعية بالدرجة الأولى.

وبعامة ، فإن التربية الحقة، التى تستند على ركائز قوية ومتينة، تسهم فى تكوين المناخ المدرسى الإبداعى، الذى يسهم بدوره فى تكوين العقلية التطورية، وبذا تتفكك بنية نمط التخلف السائد، ويتحقق نمط الحياة المعاصر، الذى يتوافق مع متطلبات وظروف عصر العولمة.

وأيضا، ينبغى التنويه إلى أن التربية، فى مسعاها لتحقيق نمط الحياة المعاصر فى عصر العولمة، تعمل جاهدة إلى إكساب المتعلم خصائص بعينها، مثل: التفكير المنطلق، ومرونة التفكير، ورفض فكرة الحل الوحيد أو الأمثل والبحث عن بدائل أخرى لهذ الحل، عدم التزمت الفكرى وقبول الاخر والانفتاح على خبرات الآخرين، التفرد وتحقيق الذات، والأصالة عن طريق القيام باستجابات غير مألوفة وتداعيات

بعيدة.. إلخ، وبذا يستطيع المتعلم أن يفهم ما يحدث حوله، وأن يدرك الدور المهم والخطير للتربية فى عصر العولمة.

وعلى صعيد آخر، انعقد المؤتمر العالمى عن العلم فى الأسبوع الأخير من يونيو١٩٩٩، وأعلنت توصياته فى الأول من يوليو ١٩٩٩، ولقد تضمنت هذه التوصيات ما يلى:

١ ــ العلم من أجل المعرفة والمعرفة من أجل التقدم.

٢ ــ المعرفة من أجل السلام.

٣ ــ العلم من أجل التنمية.

٤ ــ العلم فى المجتمع والعلم من أجل المجتمع.

وتشير التوصيات السابقة بقوة لدور العلم والمعرفة فى تحقيق التقدم والسلام والتنمية البشرية وتقدم ورفاهية المجتمع.

وعلى الرغم من أن التوصيات السابقة لها جانبها السياسى، الذى يعطى مزيداً من السيطرة والهيمنة لدول الشمال الغنية على دول الجنوب الفقيرة، على أساس أن دول الشمال ــ فى عصر العولمة ــ أصبحت تمثل المصدر أو المنبع شبه الوحيد للمعرفة والعلم، فإن ذلك لا يعفى الدول النامية من محاولة أن يكون لها دور فى مجال المعرفة والعلم، وذلك من منطلقين أساسيين، هما:

١ ـ الدول النامية تمثل فى أحيان كثيرة مصادر الكوادر البشرية المؤهلة التى تجذبها الدول الغنية عن طريق الهجرة، وتوظفها ــ وأحيانا تستغلها ــ لتحقيق المزيد من التقدم العلمى والتدفق المعلوماتى.

٢ ــ إن الجانب التطبيقى للمعرفة والعلم، والمتمثل فى التكنولوچيا بأنواعها المتعددة، لابد وأن تكون الدول النامية هى الطريق للتوظيف العلمى التجريبى أو التجارى الاستغلالى.

إذاً، ينبغى أن يتضمن التخطيط القومى للتعليم فى الدول النامية، ما يؤكد على أهمية المعرفة والعلم لتحقيق الأهداف القومية: قصيرة وطويلة المدى.

لذا، ينبغى أن يتضمن التخطيط القومى للتعليم، نظرة مستقبلية لتوظيف المعرفة والعلم، بما يتوافق مع متطلبات عصر العولمة.

إن التحديات والمعضلات التى يواجهها التعليم فى عصر العولمة، تتسم بالحدة والشراسة، ففى ظل ثورة الاتصالات والتدفق المعلوماتى وسيادة ثقافة الصورة من خلال شبكات الإنترنت، أصبح التعليم المدرسى مطالباً بالدفاع عن وجوده الشرعى، وبخاصة بعد أن تعالت الصيحات والدعوات بالتعليم خارج أسوار المدارس. ولا يقف الأمر عند حدود دفاع التعليم عن كيانه التربوى المؤسساتى، وإنما يجب أن يسهم التعليم فى تأكيد الشخصية والهوية القومية، وأن يدعم مفهوم الانتماء فى عصر الاختراق الثقافى، وأن يطور قدرات المتعلمين وينمى مهاراتهم، ويزودهم بأفضل الأساليب لتلقى المعلومات وتنظيمها واستغلالها الاستغلال الأمثل، بما يفيد فى تقدم ورفاهية الفرد والمجتمع على السواء.

وإذا نظرنا إلى العولمة كأمر واقع وفعلى، ينبغى التعامل معه عن قرب وبذكاء، لذا يجب أن يكون خيار التعليم الأوحد، هو الاستفادة من التقدم التقنى والعلمى، وصناعة المعلومات، وغير ذلك من الأمور التى توفرها العولمة، أو التى تتحقق تحت ظلها ومظلتها.

ومن ناحية أخرى، فإن الانغلاق والإنكفاء، ليسا بالسبيل الأمثل لكيفية مواجهة التعليم آثار العولمة الجانبية، وغير المرغوب فيها، وإنما السبيل هو تخريج النخب الفكرية المستنيرة، التى تستطيع الانفتاح مع الآخر، وإقامة حوار ثقافى معه، يقوم على أساس إمكانية التلاقى أو الاختلاف، ويعتمد مبدأ الموافقة أو الرفض، دون أن يكون لأى اختيار إيجابى أو سلبى مع الآخر، مساس بحرية أى طرف من الأطراف.

والحقيقة المهمة فى مسئولية التعليم لمواكبة العولمة، هى القضاء على الأمية فى مفهومهما الشامل والعريض. فالآن، الأمية ليست هى أمية القراءة والكتابة وإجراء العمليات الحسابية الأربع، وإنما تشمل: التكنولوجيا، والمعارف، واللغات، والعلاقات الاجتماعية والإنسانية،.... إلخ. لذا، فإن دور التعليم فى عصر العولمة، يتمثل فى تأكيد المسئولية الاجتماعية وتعزيز الهوية، وفى التأكيد على أساليب الاتصال التفاعلى المتبادل مع الآخر، وفى الإعداد للحياة الحاضرة ومواجهة المتغيرات المستقبلية

المتوقعة، وفى الاهتمام بالموهوبين المبدعين الإبتكاريين، وفى تأكيد أهمية العلاقات البينية المتبادلة على مستوى الأفراد والدول على السواء، وفى إتقان مهارات البحث العلمى ومهارات التعلم مدى الحياة.

ثالثا: المقصود بمدرسة المستقبل:

تؤكد العقول المفكرة فى العالم أن صورة المستقبل ذاته، وأن حياة الإنسان فى ذلك المستقبل، سوف تتأثر بدرجة كبيرة بمدى التقدم العلمى والتكنولوچى، الذى سوف تقدمه المؤسسات التعليمية. لذلك، فإن المفكرين والفلاسفة التربويين، يحاولون تقديم صورة واضحة المعالم بالنسبة لمدرسة المستقبل، فى ضوء توقعاتهم عما سوف يتحقق من تقدم علمى وتكنولوچى، تسنده وتعضده نظريات تربوية جديدة ومتجددة، تستطيع أن تتوافق مع هذا التقدم، وتؤكده، وتواكبه.

بمعنى؛ إذا كانت صورة المستقبل العلمى والتكنولوچى تبدو الآن غامضة فى شتى جوانبها، فعلى المدرسة بوضعها الحالى أن تبشر ببعض مظاهر ذلك التقدم، وعلى مدرسة المستقبل أن توضح أبعاد هذا التقدم، وتحققه.

والسؤال:

ما المقصود بمدرسة المستقبل؟

من وجهة نظرنا، تتمثل مدرسة المستقبل، فى الآتى:

* مدرسة لا تحدها حدود التاريخ والجغرافيا، لأنها لا تأخذ فى اعتبارها قيود الزمان والمكان. فالفرد فى أى وقت يستطيع أن يتعلم، فى أى مكان موجود فيه. لذلك، من الممكن أن تتباين أعمار المتعلمين الملتحقين بها، بدرجة كبيرة.

* مدرسة تعمل على أن يصل المتعلم إلى مصادر المعرفة بنفسه، وأن يتأكد من مصداقية المعلومة، فى ضوء أحكام عقلانية دقيقة.

* مدرسة لا تهتم بالجانب الأكاديمى فقط، ولكنها تهتم بالجانب المهنى فى جوانب متعددة، على أساس أن الفرد، قد يغير وظيفته أكثر من مرة، خلال حياته المهنية.

* مدرسة تركز على مشكلات الحياة ذاتها، على أساس أن الفرد جزء لا يتجزأ من هذه الحياة، مع أخذ المشكلات المستقبلية المتوقع حدوثها، فى الاعتبار.

* مدرسة تضع فى حساباتها أن الإنسان الآلى بفضل ما أودعه فيه الإنسان البشرى من ذكاء اصطناعى قد يفوق يوماً على عقلية صانعه، لذا يجب تجهيز الفرد لتكون لديه القدرة على التحدى، حتى لا تتحكم فيه، أو تزاحمه فى لقمة العيش أجسام مصنوعة من الفولاذ والبلاستيك.

* مدرسة تسعى لتحرير الفرد من مقيدات الحرية والديمقراطية، وذلك فى ضوء ضمانات تحمى الفرد وتحميه من غطرسته وديكتاتوريته واندفاعه الأحمق نحو المجهول أو غير المناسب، أى تحميه من شر نفسه.

* مدرسة تشجع التهور المحسوب، والمخاطرة العاقلة، إذ على أساسهما يستطيع الفرد أن يرفض القديم المألوف، وأن يحقق الجديد المأمول، من خلال إبداعات نافعة وناضجة، له ولغيره من الأفراد.

* مدرسة لا تتسم مناهجها بالمحدودية، بل بالشمولية والتنوع، إذ يستطيع المتعلم أن يصل للمعلومة ــ أيا كانت هويتها أو كينونتها ــ فى أى مكان وزمان، وفق ما يريد أن يعلمه أو يتعلمه.

* مدرسة تضمن توافر كمبيوتر وخط إنترنت Internet مستقل، لكل طالب، سواء أكان منتظما أم منتسباً لهذه المدرسة، على أساس أنهما أداتان فاعلتان فى تحقيق التعليم المتنوع والمتميز، وسوف يتعاظم دورهما فى المستقبل، حسبما تشهد بذلك الدلائل المستقرأة.

* مدرسة تهتم بالطفل، على أساس أنه موضوع المستقبل، لذا تعمل أن تكسبه جوانبه ثقافة المستقبل، وتهيىء له الظروف التى عن طريقها يتمتع بلياقة نفسية وتربوية وصحية.

* مدرسة تهتم بالبيئة، وبالنواحى الجمالية فى البيئة، فيدرك الفرد كم هى عظيمة أعمال الله، ويعمل جاهداً على المحافظة على البيئة، ويرفض تلويثها أو تخريبها.

* مدرسة تتصف إدارتها بالمعرفة، والحسم، والقدرة على معالجة الخلافات، والاستقرار العاطفي[٧]، بحيث يتم توظيف هذه السمات إجرائياً، فى خدمة المتعلمين.

فى ضوء ما تقدم، فإن مدرسة المستقبل لن تكون أبداً مدرسة نمطية، أو فى شكلها التقليدى، المتمثل فى مجموعة قاعات الدروس والمختبرات، وبعض الأماكن والأفنية لممارسة بعض ألوان النشاطات، وإنما بجانب ذلك، وفى أغلب الأحوال، سوف تمارس مدرسة المستقبل فاعلياتها فى المزارع والمصانع والبنوك... إلخ، وقد تمارس فاعلياتها عن طريق الاتصال بين جميع أطراف العملية التعليمية، وهم موجودون فى منازلهم أو مصايفهم أو منتجعاتهم أو أماكن استشفائهم أو تجمعات أعمالهم. أيضاً، قد تؤدى مدرسة المستقبل أدوارها من خلال مواقع افتراضية، يختارها المتعلم بنفسه، وذلك ما يوضحه الحديث التالى[٨]:

من الأشياء الممتعة للمتعلم أن يكتشف وجود حرم إفتراضى Virtual Campus، خاص به، يستطيع أن يتجول فيه من أجل الدراسة والتحصيل باستخدام إنترنت، ويوضح **سهيل زخور** أبعاد هذا الموضوع فى المقال التالى:

يزداد يوما بعد يوم، حضور مواقع «التعليم عن بعد» قوة وأهمية، على شبكة إنترنت، إذ مازالت الوسيلة الأكثر أهمية ومتعة فى هذا المجال، هى استخدام الحرم الجامعى الافتراضى Virtual Campus ، لما يحققه هذا الحرم من تفاعل حقيقى مع الدارسين، سواء عبر المحاضرات، أو مجموعات الحوار، أو الدردشة النصية... أهم ما يميز تطبيق هذه التقنية حالياً، هو أن الإفادة منها، لم تعد مقصورة على الجامعات ومعاهد التدريب المختلفة، بل تعدتها لتصل إلى العديد من الشركات المنتجة للبرامج والتطبيقات، وذلك بهدف توسيع بيئة انتشار برامجها، بالعمل على تعريف وتدريب زوار مواقعها على استخدام منتجاتها.

لقد صممت آلية الدخول للحرم الافتراضى Virtual Campus بحيث تحمل للمستخدم المتعة، خلال تجواله ودراسته، فقد سمحت له بالاختيار بين مجموعة

قوالب Themes، مثّلت بلداناً مختلفة (الولايات المتحدة، استراليا، الصين...) لتكون بمثابة واجهة استخدام مصاحبة له، فيما يهدف هذا القالب إلى إحاطة المتدرب بأجواء تلك البلدان، عبر المشاهد المصاحبة والألوان المميزة لكل بلد، بالإضافة للخلفية الموسيقية المرافقة. كما أمكن التنقل بين أكثر من قالب فى كل جلسة عمل، كاختيار قالب اليابان لليوم الأول، وقالب استراليا لليوم التالى، مثلاً، وهكذا...!

أما شرط العضوية الوحيد فى الحرم فهو التسجيل فيه، عبر الإجابة على بعض الأسئلة، واختيار اسم له تعريف وكلمة سر، ليدشن الفرد بذلك، حسابه الخاص الذى سيخوله تالياً، والإبحار فى الحرم الافتراضى، والاستفادة من كامل فعالياته.

ويمكن الآن للمرء، أن يبدأ تجواله داخل الحرم، انطلاقاً من واجهة الاستخدام التى هى بوابته الرئيسة. لكن، لابد قبل ذلك، من الاطلاع على بعض التعليمات المفيدة، والمتعلقة بأقسام الحرم وآليات استخدامه، بالنقر على: (Getting Stared)، و(About the Campus).

وتضم واجهة الاستخدام أيضاً، روابط تقود المستخدم إلى كافة فعاليات الحرم مثل، مكتبه الخاص (My Office)، وصفحة الدورات (Courses) ومكتبة المراجع (Library)، وملتقى الحرم (Campus Center)، ومجتمع الحرم (People)، وصفحة الدعم والمساعدة (Support).

إن مكتب الفرد الافتراضى هو نظير مكتبه الخاص فى الوسط الفيزيائى، لذا يتطلب الدخول إليه بداية، استخدام كلمة السر، التى يمكن بواسطتها، الوصول إلى كل ما يتعلق بالفرد داخل الحرم:

فحتى يدخل الفرد، مثلاً إلى ملفه الخاص المتضمن بياناته الشخصية، فما عليه سوى التوجه إلى My Profile، ويمكن استخدام My Account، لتعديل هذه البيانات، أو حتى لتعديل اسم التعريف أو كلمة السر. ويتيح My Preference تحديد إعدادات الفرد الخاصة، كتحديد البلد الذى جاء منه، أو قبول الفرد تلقى نشرة إخبارية إلكترونية Newsletter، إلى باقى الإعدادات الأخرى، ومنها تنشيط الخلفية الموسيقية التى ستصاحب الفرد أثناء إبحاره الافتراضى.

وسيكون من المفيد حقاً، ولمتابعة الفرد لمستوى تقدمه، أن يعود بين الفينة والأخرى، إلى الوثيقة الامتحانية My Transcript، والتى سيسجل فيها باستمرار، الوحدات الدراسية التى انتهى منها، واجتاز امتحاناتها بنجاح. ويتعهد المسئولون عن الحرم، بتزويد المعاهد أو الجامعات التى تدرب طلابها بواسطتهم، بأى وثائق نجاح رسمية إضافية، شرط طلب ذلك.

يوجد بالإضافة إلى ما تقدم My Address Book، وهو المكان الذى يتفاعل من خلاله الطالب مع ما يسمى المجموعات المشتركة Community Groups، وهذا ما سنعرض له لاحقاً.

ويمكن إضافة اسم أى طالب إلى لائحة الطلاب الخاصة به Student Contacts، إلى جانب إمكانية البحث عن شخص معين ضمن الحرم، وفق العديد من آليات البحث المتاحة، كاسم العائلة، أو البلد، أو البريد الإلكترونى، أو حتى المؤسسة التى ينتمى إليها.

وقبل أن يغادر الفرد مكتبه الخاص، عليه زيارة غرفة المطالعة Reading Room التى تضم جدول المراجع GIS Bibliography، الذى يحتوى على ما يقارب ٧٠٠مرجع (كتب، أبحاث، مؤتمرات، مقالات، تقارير...).

ويوفر الحرم لروّاده أكثر من ١٤٠ساعة دراسية، على شكل دورات متنوعة المواضيع، وموزعة حسب موضوعاتها، وفق ما يلى:

- نظرية GIS GIS Theory
- تكنولوجياGIS GIS Technology
- تطبيقاتGIS GIS Application

تتضمن كل دورة عدة وحدات دراسية Modules (ست دورات عادة)، وتعتبر أول وحدة من كل دورة مجانية، وباقى الوحدات مدفوعة الأجر، باستثناء بعض الدورات المجانية بالكامل.

تتوفر ١٥ وحدة مجانية، أى حوالى ٦٠ ساعة تدريب، أدرجت ضمن قائمة Free Modules، ليختار الطالب ما يناسبه.

أصبح بإمكان الطالب، بناء على ما تقدم أن يختار بين الاشتراك، فى الدورات المجانية أو فى الدورات الكاملة مدفوعة الأجر، أو حتى فى وحدات دراسية منتقاة من عدة دورات. ولتشجيع الطلاب على الاشتراك فى دورة دراسية كاملة، فقد حددت رسومها، بحيث يوفر الاشتراك فيها، عن الدورات المتفرقة.

وتقود العبارة: «معاً إلى الدراسة: !Go to Class» الطالب إلى الوحدات الدراسية المجانية، التى تشمل كل منها:

- مدخلاً تعريفياً بالوحدة الدراسية ومكوناتها
- دروس الوحدة
- الامتحان النهائى
- الأسئلة والاستفسارات

وتحتوى كل وحدة دراسية، على ثلاثة دروس، يتضمن كل منها مقدمة توجز أهدافه الرئيسة. والنقاط التى سيتعلمها الطالب عند الانتهاء منه، ويتم توزيع المادة العلمية لكل درس، إلى قسمين:

القسم النظرى: يهدف إلى إمداد الطالب بالمعلومات، التى وزعت على مجموعة مفاهيم Concepts رتبت فى موضوعات Topics، كما ترافق المعلومات النظرية فى كل درس عدة أشكال توضيحية، بهدف إيجاد تفاعل أفضل بين الطالب، من جانب، وواجهة استخدام البرنامج الذى يتدرب عليه، من جانب آخر.

أما القسم العلمى: فهى على شكل مجموعة تمارين Exercises، تقسم إلى خطوات Steps، بحيث تحدد أهدافها بدقة.

ولتسهيل الدراسة على الذين لا يملكون نسخة من البرنامج المستخدم فى الدراسة، يتم ربط كل تمرين بصفحة تظهر شكل واجهة استخدام البرنامج المتوقعة عند تنفيذ التمرين View Result.

ويتبع كل درس ملخص Summary، يوجز النقاط الأساسية التى يتم عرضها. وإذا ما رغب الطالب فى اختبار مدى استيعابه للمعلومات، فيمكنه أن يقدم اختبارا شخصياً Self Test يجيب فيه على اختبار سريع Quiz، مكون من ١٠ أسئلة، يتطلب نجاحه فيه، الإجابة بشكل صحيح على ٧ منها. أما الامتحان النهائى Final Exam، فأسئلته شاملة لكل دروس الوحدة، ويستدعى النجاح فيه الإجابة الصحيحة على ١٥ سؤالاً من بين ٢٠ سؤالا. ومن المفيد أن يعلم الفرد بأنه مخير تماماً، فى اختيار موعد تقديم الامتحان، لكن الأسئلة ستتغير مع كل مرة جديدة يدخل فيها قاعة الامتحان!!

بالإضافة لغرفة المطالعة Reading Room، وجدول المراجع GIS Bibiography، اللذين سبق ومر بهما الفرد عبر مكتبه الخاص، توجد الأوراق التقنية Technical Papers، حيث يمكن للفرد البحث فى أكثر من ١٦٠ ميجا بايت من أوراق العمل والتقارير بهيئة PDF، مستقاة من عدة منظمات ومجلات متخصصة، وحتى مؤتمرات علمية.

أما قاموس المصطلحات GIS Dictionary، فيقدم خدمة كبيرة، للباحث عن المعنى المطلوب لمصطلح معين.

وتعتبر إمكانية اقتناء أحد المراجع، إضافة مهمة، حيث تتوفر مجموعة كبيرة من الكتب والبرامج والبيانات، وحتى أشرطة الفيديو، لتطبيقاتGIS المختلفة، ضمن مخزن الحرم Bookstore، لكن هذه الخدمة مازالت حكراً على المقيمين داخل الولايات المتحدة!

وإذا رغب الفرد، قبل المغادرة، فى الاطلاع على أهم المراجع التى تتناول GIS، يتوقف قليلاً، لقراءة توصيف بعض هذه المراجع، وتعليقات القراء عليها، ضمن مراجعات كتب"GIS Book Reviews "، حيث ترتب هذه الكتب حسب موضوعاتها.

أخيراً، إن لم يشترك الفرد بالنشرات الإخبارية الإلكترونية Newsletter، عند

تحديد إعداداته الخاصة My Preference، فيمكن القول إنه لم يفته شيء بعد، لأن مراجعة الأرشيف Archive ستضمن للفرد الإطلاع على مجمل هذه النشرات، حسب ترتيبها الزمني.

إذا تعب الفرد قليلاً مما تقدم، فعليه أخذ قسط من الراحة، وصرف بعض الوقت بين اللعب والدردشة، إذ لم يغب عن أذهان مسئولي الحرم، حاجة المرء للترفيه من حين لآخر، لذا فقد كرّس ملتقى الحرم "Campus Center" ليشابه في مهامه، مبنى النشاط الطلابي في أي حرم حقيقي.

يحتوي ملتقى الحرم الترفيهي تحت سقفه، على العديد من الفعاليات، كقاعة للدردشة سميت مقهى الحرم "Campus Cafe"، هدفها جمع كل رواد الحرم من طلاب ومدرسين، ليحتسوا بعضاً من القهوة (الافتراضية) ويتجاذبوا أطراف الحديث، وما على من يرغب منهم في اللعب قليلاً، سوى تحريك قدميه والتوجه إلى قاعة اللعب Game Room، ليختار بين لعبتين ممتعتين، جمعتا التسلية والفائدة، وهما: Word Search, Siding Puzzle ولكن استخدامها يقتضي أولا إضافة Macromedia Director إلى المتصفح، وافتتحت منديات للحوار Discussion Forum ، لمناقشة الموضوعات التي تحظى بالاهتمام المشترك لرواد الحرم.

كما، يوفر ملتقى الحرم أيضاً لرواده، تقويماً خاصاً Event Calender، يعلمهم بالنشاطات الشهرية المزمع إقامتها، ونبذة عن كل منها.

وتضم صفحة مجتمع الحرم People، كل ما يمكن أن يعرفه الفرد من معلومات عن رواد الحرم، من طلاب، وخريجين، وعاملين فيه، وحتى المؤلفين المشاركين.

وتزود صفحة الطلاب والخريجين Students & Alumni، بمحرك بحث، يتيح البحث عن شخص معين، داخل الحرم.

أما المجموعات المشتركةCommunity Group ، فهي تضم مجموعات من الطلاب الذين تجمعهم اهتمامات مشتركة، لتقدم حوارات بين هؤلاء الأعضاء عبر البريد الإلكتروني، كما تحتوي كل مجموعة على تعريف يتضمن: الاهتمامات

الأساسية Group Profile ، ومعلومات عن المشاركين Members Profiles، ولوح النشرات Bulletin Board. أما مواضيع النقاش الدائرة فى المجموعة، فيمكن مراجعتها والتعليق عليها عبر Recent Messages، كما يمكن لمن لا يجد مجموعة عمل تلائمه، أن يصنع مجموعته الخاصة، وأن يدعو الآخرين إليها.

وإذا أحب الفرد أن يعرف أكثر عن الذين يقفون وراء هذا الحرم الافتراضى، فلا بأس من زيارة صفحة Stuff & Authors، والتى تعطيه تعريفاً شاملاً بالعاملين فيه.

ماذا بعد كل ما تقدم؟! لو بقى لدى الفرد بعض الأسئلة المتعلقة بالدورات، أو بالحرم الافتراضى عموماً، فلا يتردد فى زيارة صفحة الدعم Support، حيث يجد فيها الإجابات التى تبحث عنها، سواء تعلق الأمر بطريقة التسجيل، أو آلية دفع الرسوم، وصولاً للأمور التقنية المتعلقة بجلب وتركيب البرامج الضرورية لكل طالب يريد الدراسة فى الحرم.

وقبل أن يسجل الفرد فى دورة محددة، عبر حرم افتراضى، مجانية كانت أو مدفوعة، يكون من المفيد أن يعرف ما يلى:

١ ــ توفر بعض الشركات، للطلاب الذين يختارون التدريب على برنامج محدد، ولا يملكون نسختهم الخاصة منه، إمكانية جلب وتركيب نسخة مجانية منه، ومنها من يشترط التسجيل فى إحدى الدورات المدفوعة.

وفى حالتنا، يجب الانتباه إلى أن هذه النسخة، ستتوافق مع نظم ويندوز المختلفة، ولن تتوافق مع أجهزة ماكينتوش أو أنظمة يونكس، كما أنها لن تعمل أكثر من ١٢٠ يوماً (محدودة المدة وغير قابلة لإعادة الجلب والتركيب). ومن المفيد جداً، لذلك، أن يمتلك المرء قبل الشروع فى التسجيل والدراسة، نسخته الخاصة من البرنامج المطلوب، فيتحرر من سيف مهلة استخدام البرنامج.

٢ ــ فى دورات أخرى، لا يؤمن الحرم لطلابه نسخة خاصة من البرنامج، وعندئذ ينبغى على من يود الدراسة، أن يقتنى نسخته الخاصة منه.

٣ ــ فى الدورات التقنية، تكون لغة الدراسة وتقديم الاختبارات والامتحانات، هى الإنجليزية، فيجب على المتدرب إجادتها ما أمكن، ليضمن المنفعة القصوى.

٤ ــ يمكن فى حالتنا التى تناولناها، لمن يجتاز إحدى امتحانات الحرم بنجاح، سواء كان امتحانا لوحدة دراسية، أم لمجموعة وحدات (دورة كاملة)، الحصول على شهادة خاصة بذلك، تظهر أمامه على الشاشة، ليتمكن لاحقاً، من طباعتها والاحتفاظ بنسخة ورقية منها.

٥ ــ رغبة من بعض الشركات فى تشجيع الطلاب وهيئات التدريس الجامعية على الاشتراك فى دورات كاملة مدفوعة، فإنها تعمل على تخفيض تكلفة اشتراك هؤلاء بنسب كبيرة، قد تتجاوز ٤٠٪، شريطة أن يثبت الطالب، أو المتدرب، انتماءه إلى إحدى الهيئات الجامعية (كأن يكون عنوان بريده الإلكترونى عائداً لجامعة، أو مؤسسة تعليمية معينة، أى يكون امتداد العنوان EDU، مثلاً). بالإمكان أن نجنى فائدة كبرى، بالتفاعل مع دورات الحرم الافتراضى، المدفوعة، أو حتى المجانية. فما على الفرد الآن، سوى أن يحزم أمره ويشد الرحال، فيبدأ رحلة الدراسة، إن راق له الأمر بالطبع!

رابعا: تصور لبعض أدوار مناهج مدرسة المستقبل فى ضوء تحديات عصر العولمة:

فى المستقبل القريب، وفى ضوء تحديات عصر العولمة، التى سبق الإشارة إليها، من المتوقع أن تسيطر الآلة على الإنسان، وقد تحل محله تماماً فى العديد من الأعمال، مما يترتب عليه مزاحمة الإنسان فى مصادر رزقه، وإتساع وقت اللا عمل، وزيادة وقت الفراغ، ونزوع الإنسان إلى مصادر غير قانونية، أو غير شرعية تحقيقاً لمطالبه الغريزية وحاجاته البيولوجية، وإلى مصادر غير أخلاقية تأكيداً لوجوده الإنسانى كإنسان له اهتماماته المعنوية، وغير ذلك من الأمور المرضية والمرفوضة والغريبة والشاذة، التى قد يحملها لنا المستقبل القريب بين جنباته.

وباختصار، سوف يطغى تأثير الجانب المادى على الجانب المعنوى، لذلك يجب أن

تسعى مناهج مدرسة المستقبل جاهدة، من أجل إحياء الذات الإنسانية داخل كل إنسان، على أساس أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان.

ولتحقيق المقصد النبيل السابق، يجب أن تأخذ مناهج مدرسة المستقبل فى اعتباراتها، أنها ليست مطالبة فقط، بل هى ملزمة بتحقيق الأدوا ر التالية:

(١) الطبيعة البشرية:

إن الجمع بين قدر من السبق الفردى الضرورى لكل تقدم، وقدر من التماسك الاجتماعى اللازم لأجل البقاء، من أساسيات تحديد الطبيعة البشرية للإنسان، مع الأخذ فى الاعتبار أن «من أسباب نشأة الضغوط والتوتر فى حياة البشر الاجتماعية، احتمال محدود، أن يصبح المرء على وعى بالأسس العقلانية لسلوك تقود إليه غريزة طبيعية، ولكن عندما يكبت هذا السلوك، الغريزة الطبيعية، بقسوة شديدة، فإن الطبيعة تثأر لنفسها، وذلك بإحداث إما حالات لا مبالاة وإما حالات الميل للتدمير، وكلاهما يمكن أن يتسبب فى انهيار نظام أوحى به العقل»[٩].

فى ضوء ما تقدم، يجب أن تهيىء مناهج مدرسة المستقبل الظروف المناسبة لتشغيل ملكات وآليات العقل، فى جو متحرر من الكبت والقسوة الشديدتين، وفى مناخ يخلو من الرعب والخوف، لأن عدم تحقيق ذلك يؤدى إلى بذر بذور التطرف والإرهاب، التى تؤدى بدورها إلى تدمير النوازع الطيبة داخل الإنسان أولاً، وإلى تفجير طاقات الشر التى تسعى لتخريب المجتمع ثانياً.

أيضا، الناس الذين يعيشون مضغوطين، بحيث تكون حياتهم غير طبيعية بدرجة حادة، يمكن أن يضمروا الحسد والحقد وسوء النية، وكل ما يتعارض مع الخير، لذا ينبغى أن تعمل مناهج مدرسة المستقبل على تأكيد النوازع الإنسانية الطيبة والخيرة، وتفعيلهما فى صورة ممارسات أدائية وإجرائية، وخاصة فى عالم المستقبل، الذى سوف يكون مهموماً بتوترات وحشية ومتوحشة، تمثل سمة سائدة لغالبية البشر فى المستقبل.

(٢) التذوق الجمالى:

فى ضوء تعريف (جورج سانتيانا) للجمال، بأنه «قيمة إيجابية نابعة من طبيعة الشىء خلعنا عليها وجوداً موضوعياً، أو فى لغة أقل تخصصاً: الجمال هو لذة نعتبرها صفة فى الشىء ذاته»[١٠]، فإن هذه القيمة فى كلمات معدودة على نحو مفيد، قد تكون الحق، أو التعبير عن المثالى، أو رمز الكمال الإلهى، أو المظهر الحسى للخير،.. إلخ.

فى ضوء ما تقدم، يجب أن توفر مناهج مدرسة المستقبل الظروف المواتية، التى تساعد المتعلمين على فهم ماهية التذوق الجمالى، وخاصة أن تجليات العولمة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١، بدأت تباشيرها تظهر فى صورة مفزعة ومزعجة. فالأحداث العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والإعلامية على مستوى العالم، والتى بدأت بالفعل، لا يعلم غير الله وحده، مداها أو نهايتها، وإن كانت تلك التباشير لا تبشر أبداً بالخير للبشر، وقد تكون من أسباب إلتهاب الكرة الأرضية، وربما حرقها وتفجيرها.

إن التأكيد على فهم التذوق الجمالى، ينبغى أن يكون الشغل الشاغل لمناهج مدرسة المستقبل، إذ يسهم هذا الفهم فى إدراك طبيعة الجمال، مع مراعاة «إن العلم هو استجابة لرغبتنا فى المعرفة ولذلك ففيه نطالب بالصدق كله ولا شىء غير الصدق، بينما الفن استجابة لرغبتنا فى التسلية وفى إثارة حواسنا وخيالنا، ولذلك فالصدق يدخل فيه فقط بمقدار خدمته لهذه الغايات.

بل إن القيمة العلمية للصدق ذاتها ليست أولية أو مطلقة، إذ أنها تقوم على اعتبارات بعضها عملى وبعض الآخر جمالى»[١١].

والحقيقة التى لا غبار عليها، أنه دون إحساس الفرد بالجمال الطبيعى أو المصنوع من حوله، يفقد الإحساس بالمعنى، وتتبلد مشاعره لحد التلبد، ويتوقف خياله عن التصور والأحلام، التى هى الخطوة الأولى فى طريق التجديد والإبداع. لذا، فإن مسئولية مناهج مدرسة المستقبل، تتجلى فى أسمى معانيها، عندما تسعى جاهدة

لإكساب الطفل فى سنوات عمره الأولى القيم الجمالية من حوله، ودلالة معنى الوجود الإنسانى، بشرط أن يتحقق ذلك بطريقة سهلة بسيطة. وعندما يشب الطفل ويكبر، يمكن تحقيق الهدف السابق بطريقة مجردة.

(٣) العمل واللعب:

بعيش الإنسان فى عصر العولمة، مضطرباً ومأزوماً، بسبب هيمنة بعض الدول وتعسفها فى قراراتها ضد الشعوب والدول على السواء، حيث تقلل هذه القرارات من فرص العمل أمام الإنسان. ومن المتوقع أن يزداد اضطراب الإنسان وأزمته فى المستقبل، لندرة أو إنعدام فرص العمل.

ومن ناحية أخرى، بات من الصعب وضع حدود فاصلة بين العمل واللعب، لاختلاف مدلولات اللفظتين عند البعض. فمثلا، قد يسمى البعض كل نشاط ينبع من دافع سيكولوچى يهدف إفراغ طاقة لم تتطلبها ضرورات الحياة بأنه لعب، على أساس أنه نشاط غير نافع. لذلك يميز التوجه السابق ـ موضوعياً ـ بين العمل واللعب، على أساس أن الأول نافع والثانى غير نافع. وعليه، تصبح لفظة العمل لدلالة المدح، بينما تصبح لفظة اللعب لتأكيد الذم.

والحقيقة بسبب ما قد يحمله لنا المستقبل من مفاجآت صعبة، فإن الإنسان فى أشد الحاجة إلى اللعب، وخاصة إن كان لا يعمل، إذ يكون اللعب هو البديل الوحيد لشغل وقت فراغه، بدلاً من التفكير فى أمور بديلة، تكون من أسباب تعاسته وشقائه، وتهدد أمنه وأمانه، وتعرض سلامه وسلامته للخطر، وقد تؤدى فى النهاية بحياته.

إذاً، ينبغى أن تعمل مناهج مدرسة المستقبل من أجل إكساب الفرد الأساليب المتنوعة لممارسة اللعب اللذيذ فى أوقات الفراغ، تعويضاً عن التعقيدات الإدارية والصعوبات الفنية فى مجالات العمل المختلفة، وفى علاقات الأفراد بعضهم البعض، وفى بعض أنماط اللعب الآلية ذاتها، وبذا يمكن مقابلة الإرهاق الذهنى والتعب الجسمى، اللذين قد يعتريان الإنسان بسبب التعقيدات والصعوبات التى سبق التنويه إليها.

إن اللعب الذى يقوم على أسس نفسية وتربوية صحيحة، يجب أن يمثل ركنا مهما وأساسياً فى مناهج مدرسة المستقبل، لأنه دليل على تكيف الفرد مع البيئة من حوله، سواء أكانت مدرسية أم مجتمعية. وأيضاً، يتفق مع مقومات الشخصية السوية، ومع متطلبات الطبيعة الإنسانية، ومع لزومية سعادة وتمدين البشرية، وبذلك يتم تجميل الحياة، وتثقيف الخيال، والقدرة على الاستمتاع الحر(١٢).

ويجدر التنويه إلى التوجه الذى يرى أن العمل مساوياً للعبودية، واللعب مساوياً للحرية، على أساس أن العمل يفعله الفرد مرغماً وتدفعه إليه الضرورة، بينما يمارس الفرد اللعب، سواء أكان نافعاً أم غير نافع، بتلقائية ولذاته. وهنا، فإننا لا نناقش هذا التوجه، وإنما نشير إلى أن فحواه يجعل من اللعب ضرورة مهمة، يجب أخذها فى الاعتبار، عند التخطيط لمناهج مدرسة المستقبل.

(٤) التكنولوچيا:

«لم تعد التكنولوچيا فى حياة الناس والأمم والشعوب رفاهية، بل أصبحت حاجة وضرورة. ولم تعد منحة لمن لا يملك مقوماتها، بل أصبحت سلاح ضغط على من يريدها. ولم يكن تطويرها فهلوة أو ضربة حظ، ولكنها رصيد معرفة وخبرات أديرت لحقب من الزمان، ولم يعد من يشتريها هو المتطور، بل من ينتجها هو المتقدم»(١٣).

وبالنسبة للمستقبل، سوف تتمدد استخدامات التكنولوچيا فى جميع الاتجاهات، بحيث تشمل شتى ميادين الحياة. ولسوف يصاحب ذلك، توسيع البون والفجوة ـ بشكل هائل ـ بين الشمال الذى ينتج التكنولوچيا، وبين الجنوب الذى يسعى جاهداً لمجرد شراء التكنولوچيا واستخدامها فى بعض المجالات.

ولما كانت مدرسة المستقبل، مدرسة يجب أن يكون أغلى كنوزها الإنسان، وأن تتلاحق فيها العقول القادرة الواعدة، وأن تظلل سماءها الحرية والديمقراطية، فيجب أن لا تتضمن مناهجها العلوم الجديدة والمعرفة المتجددة فقط، بل تتضمن أيضا، إبداعات التكنولوچيا من جهة، وأساسياسات إنتاج التكنولوچيا ذاتها من جهة أخرى.

ويتطلب تحقيق ما تقدم، أن تسهم مناهج مدرسة المستقبل فى تحقيق الآتى:

- تطوير التكنولوچيا القائمة الواعدة ذات الرصيد البحثى والمعرفى، والتى يمكن تسويقها.

- خلق تكنولوچيا جديدة نظيفة ورخيصة، وتتطلب خبرات محدودة، وتسهم فى التنمية المحلية.

- إلقاء الضوء على أهمية تطوير جزء من التكنولوچيا، يدخل فى نطاق التكنولوچيا المتقدمة، التى يمكن تنفيذها بنظام شراكة المدرسة مع بعض المؤسسات فى المجتمع.

- إتاحة الفرص المناسبة أمام الموهوبين والمبدعين فى المجال التقنى.

(٥) العلوم الاجتماعية:

يعرف إنجلش وإنجلش (English & English 1958) العلوم الاجتماعية، بأنها «العلوم التى تعنى بالنظر فى موضوع الإنسان من حيث كونه يعيش فى علاقة مع غيره من الناس فى بيئة اجتماعية، ونخص بالذكر الأنثروبولوچيا الاجتماعية، وعلم الاجتماع، وعلم النفس الاجتماعى»(١٤).

فى ضوء ما تقدم، تظهر الحاجة ماسة إلى ابتكار منحى نظرى مناسب، يقوم على أساس ما تقدمه العلوم الاجتماعية من تفسيرات التفاعل بين الأفراد بعضهم البعض، ويعتمد على المعلومات والتفسيرات الخاصة بنظريات العلوم الاجتماعية فى تحديد الحدود، التى يجب أن تقوم عليها العلاقات الإنسانية.

ومما يظهر أهمية العلوم الاجتماعية، وخطورتها آنيا، أن العلاقات بين البشر، فى عصر العولمة، باتت متشابكة ومعقدة، وتتطلب أفراداً ذوى عقول قوية، لفك ألغاز وطلاسم هذه العلاقات. أيضاً، مما يؤكد نفعية العلوم الاجتماعية، أنه رغم تشابك العلاقات الإنسانية، نجد بعض الأفراد يفضلون التقوقع على ذاتهم، ويبتعدون كثيراً عن المناشط الإنسانية الجمعية، وبذا ينعزلون عن الآخرين، وهنا نظهر فاعليات العلوم

الاجتماعية، إذ يمكن عن طريقها تمهيد الطريق لإقامة علاقات متوازنة بين الفرد ونفسه، وبين الفرد والآخرين.

تأسيساً على ما تقدم، يجب أن تتضمن مناهج مدرسة المستقبل العلوم الاجتماعية، التى تهدف إثراء الحياة الاجتماعية بما يحقق التآلف والتفاعل والتآخى والتآزر والتعاون والعمل... إلخ، بين الأفراد، وأيضا، بما يفرز المزيد والمزيد من المعارف العلمية الحديثة حول سلوكيات البشر القائمة بالفعل، وأنماط الممارسات الوقائية التى يجب أخذها فى الاعتبار، لمقابلة المشكلات القائمة، أو لتفادى الأشكاليات السلبية المتوقع ظهورها.

إذاً، ينبغى أن لا يقتصر اهتمام مناهج مدرسة المستقبل على العلوم البحتة والتطبيقية، بل يجب أن تهتم، أيضاً، بالعلوم الاجتماعية، لأنها مادتها العلمية الأولى، هى: ما هية الإنسان، وهويته، وكينونته، وتصوره لنفسه وللآخرين، وسلوكه نحو الآخرين فى السلم والحرب، وتصرفاته عندما يكون فى حالة يسر أو عسر، وغير ذلك من الظواهر المتقابلة والمتناقضة آنياً، والتى سوف تفرض نفسها علينا قهراً وقسراً فى المستقبل القريب.

(٦) إنترنت كوسيط تعليمى وإعلامى:

من المسلم به أن ربط المدرسة بالمؤسسات التربوية الأخرى، لإقامة جسر قوى من العلاقات المتينة بين المدرسة والمجتمع، يمثل غاية نبيلة، تسعى التربية لتحقيقها وتأكيدها بشتى الأساليب والطرق.

ومن المتوقع أن يكون المقصد السابق الهدف الرئيس للتربية، فى السنوات القليلة القادمة، وخاصة بعد ظهور الدعوة لمدارس بلا جدران[١٥]، حيث ظهر الدور المهم للإنترنت فى إمكانية تحقيق التعليم والتعلم للفرد، فى أى مكان وزمان.

إن دور إنترنت فى توفير حرم (موقع) إفتراضى لكل متعلم ــ كما أوضحنا ذلك فى ثالثا ــ أكد بقوة أن عملية التعليم والتعلم، أصبحت بلا حدود، بحيث لا يمكن لحدود الجغرافيا والتاريخ أن تقف أمام الانتشار والتوسع لهذه العملية.

بالإضافة إلى ما تقدم، يتجلى الدور الرابع للإنترنت كوسيط إعلامى، فى متابعة الأخبار العالمية، حيث يمكن متتبعيه من تغطيات شبه كاملة للأحداث التى تتحقق فى أى مكان. ولعل خير دليل على ذلك، أنه بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، التى حدثت فى (نيويورك) و(واشنطن)، «اتجه مستخدمو الإنترنت بكثافة إلى المواقع الإخبارية الأمريكية والأوروبية والعربية منذ الساعات الأولى للأعمال التخريبية فى أمريكا، وذلك قبل العودة إلى متابعة النشرات الإخبارية المتلفزة على أمل الحصول على المعلومات السريعة منها.. وكانت تقنية البريد الإلكترونى على موعد تاريخى مع حدث ضخم كما حدث بالمركز التجارى العالمى، كما نشطت منتديات النقاش واللوائح بكامل إمكانياتها عاكسة حالة الذهول العالمية التى استطاع الويب لوحده وإلى حد كبير امتصاص ثورتها»(١٦).

فى ضوء ما تقدم، ينبغى أن توجه مناهج مدرسة المستقبل جل اهتمامها، نحو تعليم الطلاب كيفية البحث عن المعلومة عبر شبكات الإنترنت، وأن توفر لكل طالب موقعاً على شبكة الإنترنت، إذ إن القضية فاقت بكثير استخدام الكمبيوتر التعليمى، على أساس أن الكمبيوتر بمثابة خطوة أولى يجب أن يتبعها ويلازمها استخدام إنترنت، كخطوة ثانية.

والحقيقة التى لا جدال أو شك فيها ، إن استخدام إنترنت عبر مناهج مدرسة المستقبل، لسوف يصبح ضرورة من ضروريات عصر العولمة، حيث ثبت من الآن أن إنترنت بمثابة وسيط تعليمى وإعلامى آنياً، يمكن عن طريقه ربط المدرسة بأحداث المجتمع المحلى والعالمى على السواء، وسوف يتأكد ذلك خلال السنوات القليلة القادمة. فإذا تجاهلت مناهج مدرسة المستقبل فى تصميماتها من الآن، هذا الأمر، أصدرت على نفسها حكماً بالتخلف العلمى والتقنى، وفشلت فى تحقيق أن تكون أداة التربية الرئيسة، فى تعريف المتعلم بالظواهر والنظريات العلمية الجديدة والمتجددة، التى تتحقق يومياً فى العالم. أيضاً، تكون من أسباب الوقوف كحجر عثرة أمام المتعلم كى يتثقف معلوماتياً بالأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية.. إلخ،

التى تظهر كل ساعة، بل كل دقيقة أحياناً، وتفرض نفسها على مجريات الأحداث العالمية.

إن المطمح الأساسى للمدرسة ــ قديماً وحديثاً على السواء ــ أن تسهم فى بناء الإنسان، قوى العقل والقادر على التفكير، بحيث يستطيع أن يفهم الأحداث، وأن يربط بين تداعياتها. وإذا كان هذا الهدف ملحاً فى وقتنا الحالى، فسوف يكون أشد إلحاحاً فى المستقبل القريب، لذلك ينبغى أن تهتم مناهج مدرسة المستقبل بتقنية إنترنت، بعد أن بات الاتصال بالإنترنت عبر الأقمار الصناعية لا يبدو عملية صعبة على الاطلاق، وذلك يناسب القاطنون فى المناطق الريفية النائية، ويسعون إلى الحصول على اتصال عريض الموجة بالإنترنت، بهدف معايشة مجتمع المعرفة(١٧).

خاتمة:

أبرزت هذه الورقة البحثية أن مناهج مدرسة المستقبل، فى ضوء تحديات عصر العولمة، تقع على عاتقها مسئولية تحقيق العديد من الأدوار ــ منها على سبيل المثال، وليس الحصر ــ مراعاة الطبيعة البشرية للإنسان، وإكساب التذوق الجمالى، واللعب كقيمة إنسانية، ودور التكنولوچيا فى الحياة المعاصرة، ودور العلوم الاجتماعية فى تشكيل توجهات الإنسان نحو المشكلات والقضايا التى يموج بها المجتمع، وتفعيل دور إنترنت كتقنية تعليمية إعلامية.

وللأمانة، فإن الأدوار المطلوبة من مناهج مدرسة المستقبل فى ضوء تحديات عصر العولمة، لا تقتصر على الأدوار الستة السابقة، إذ أن المطلوب أشمل وأوسع من ذلك بكثير، ويتطلب اجتهادات واجتهاد الجميع بلا استثناء.

المراجـــع

(١) مجـدى عزيز إبراهـيم، **دراسات في المنهج التربوي المعاصر**، القاهرة: مـكتبة الأنجلو المـصرية، ٢٠٠٠، ص ٣٦ ــ ٣٧.

(٢) جاء التعريفات الخاصة بمفهوم العولمة، فى المصدر التالى:

مجدى عزيز إبراهيم، **المنهج التربوى العالمى**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١، ص ص ١١ ــ ١٣، ص ص ٨٤ ــ ٨٧.

(٣) بول هيرست، جراهام طومبسون، ترجمة فالح عبدالجبار، **ما العولمة؟: الاقتصاد العالمي وامكانات التحكم**، سلسلة عالم المعرفة (الكويت)، العدد ٢٧٣ ، سبتمبر ٢٠٠١، ص١٢.

(٤) أحمد أبـو زيد، **الطريق إلى المعرفة** ، كتاب العـربى (الكويت) ، العدد الـسادس والأربعون، ١٥ أكتوبر ٢٠٠١ ، ص ١٦٧.

(٥) مجدى عزيـز إبراهيم، **المنهج التربوى وتحديات العصر**، الطبعة الـثانية، القاهرة: مكـتبة عالم الكتب، ٢٠٠٢.

(٦) .....، المنهج التربوي العالمى، **مرجع سابق**، ص ١٥٩ ــ ١٦٤.

(٧) للوقوف على المزيد من صفات الإدارة الناجحة، يمكن الرجوع للمصدر التالى:

إيهاب صبيـح محمد زريق، **الإدارة: الأصول والنظريات**، القاهرة: دار الكتب العلمـية للنشر والتوزيع، ٢٠٠١، ص١٩.

(٨) مجدى عزيز إبراهيم، **الكمبيوتر والعملية التعليمية في عصر التدفق المعلوماتى**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٠ ، ص ص ٢٤٤ ـ ٢٥٠ .

(٩) برتراند راسل، ترجمة لطفية عاشور، **السلطة والفرد**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١، ص١٩.

(١٠) چورج سانتيانا، ترجمة محمد مصطفي بدوى، **الإحساس بالجمال: تخطيط النظرية فى علم الجمال**، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ٢٠٠١، ص٩٢.

(١١) **نفس المرجع**، ص٦٠.

(١٢) للوقوف على المزيد من تفصيلات اللعب التربوى، يمكن الرجوع للمصدر التالى:

مجدى عزيـز إبراهيم، **أساليب حديثة في تعليم الرياضيات**، القاهرة: مكتبـة الأنجلو المصرية، ١٩٩٧ ص ص ١٠٣ ــ ١١٠.

(١٣) محمد حسن رسمى، « التكنولوجيا وتحديات الإنتاج والمواجهة»، **جريدة الأهرام** فى ٢٠٠١/٩/٦

(١٤) جاء الاقتباس الخاص بتعريف العلوم الاجتماعية، في المصدر التالى:

مصطفى سويف، **مشكلة تعاطى المخدرات (بنظرة علمية)**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١، ص ٦٤.

(١٥) هنرى ج. تيركنسون، ترجمة عبدالراضى إبراهيم محمد عبدالرحمن، **تعليم بغير أهداف، معلمون لا تقيدهم أهداف وطلاب لا تحدهم غايات**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠١.

(١٦) إنترنت العالم العربى (بدون محرر)، «الثلاثاء الأسود في عيون إنترنت العربية»، السنة الرابعة، العدد الثانى عشر، نوفمبر ٢٠٠١، ص ص١٤ ــ ١٥.

(١٧) ويندوز: الشرق الأوسط (بدون محرر)، «إنترنت الأقمار الصناعية تغزو المنطقة العربية»، السنة الخامسة، العدد ١، أكتوبر ٢٠٠١، ص ص ١٠ ــ ١١.